رسالة الى جدتي

قصة بقلم دينا الأمير

« جدتي العزيزة :

لقد رفضته ياجدتي . انا ادري انك ستغضبين علي ولن ترضي عن تصرفاتي . انا كذلك غير راضية عنها ، ولكني لا استطيع تغييرها. ولو حدثتك عن اسباب رفضي للخاطب الجديد لازددت ثورة علي .فلاترك الحديث عن الاسباب مادمنا لن نتفق عليها . وقبل ان اكتب له اطلب المغفرة منك ... »

قطع عليها افكارها صوت اقدام الجار تصعد الدرج الخشبي وصوتها يدخل الغرفة المجاورة ، واحست فجأة بوحدتها : انها لاتريد ان تكون مثل ساكني هذا البلد، فهي لها جدتها ولها اقرباؤها الكثيرون،واصدقاؤها يمنحونها ودا ومحبة واهتماما تغنيها عن الاهتمام بشخص واحد ،معين.

وارتفع ضجيج الموسيقى ، لقد بدأ جارها برنامجه اليومي وستبقى الموسيقى الصاخبة تضج الى فترة ليست قصيرة .

كانت قد طلبت من صاحبة البيت ان تسأل الجار تخفيض موسيقاه فوعدتها ان تفعل ، ولكن الجار استمر يضع الموسيقى الصاخبة . وقالت لها صاحبة البيت : لم يهن علي ان اطلب منه هذا ، انه وحيد والموسيقى العالية تخفف وحشته . لعلك تتعودين عليها ..

واعتادت ان تسمع الموسيقى الصاخبة واعتادت ان تنزعج منها واعتادت ان تذكرها الموسيقى بغربتها وبوحشة الجار .

عادت الى الرسالة . واحتارت ... هل تكملها ؟.. هل تبدأ رسالة جديدة ؟ هل تمزق هذه الرسالة ؟؟

اخذت مظلتها وخرجت تسير في شوارع المدينة الكبيرة . كان المطر يتساقط رذاذا منذ الصباح الباكر ، ولعله ابتدأ منذ الليلة الماضية. ليت المطر يهطل بقوة فتفرغ السماء غيمها . ان هذا الرذاذ الخفيف المتواصل يوتر اعصابها . السير والهواء البارد سيخففان عنها .

وفي اول ركن الشارع رأت فتاة متكئة على الحائط وقد وضعت حقيبتين بجوارها . فكرت ان تعرض عليها مساعدتها ، قد تكون تائهة في شوارع هذه المدينة الكبيرة، وضحكت من نفسها عند هذا التفكير . فهي لاتعرف تماما تفرعات وتشعبات الشوارع حتى في المنطقة التي تسكنها . وعادت تضحك بصوت عال ، وارعبها ضحكها وبدا كأنه غير صادر عنها ، وتمنت لو تسمع احد المارين يغني كما يفعل اهل بلدها ، او لو تسمع ضجة الناس من بيوتهم حين تمر بها .. ولكن لا شيء غير الصمت الثقيل كان ينبعث من النوافذ ..

رفعت رأسها تتطلع الى البيوت المضاءة واحست ان كل ساكني تلك البيوت تعساء كل غرفة بساكنها الوحيد تتعذب . وانتظرت ،وكانت على يقين ان النوافذ كل النوافذ ، ستفتح ويلقي ساكنوها بانفسهم .. الان تفهم لماذا تكثر حوادث الانتحار بين ساكني هذا البلد . وأخفضت رأسها لاتريد ان ترى الناس في لحظة يأسهم .

ومن هناك جذبها ضوء قوي سارت اليه ووجدت نفسها تتطلع الى غرفة خلال نافذة لم يحكم اسدال الستارة عليها . هنا رجل يجلس على الكرسي بجوار المدفأة يمسك جريدة. قدماه مرتاحتان على وسادة جلدية . امامه امرأة لاشك انها زوجته تحيك قطعة صوفية وتسترق النظرات الى الرجل تحادثه وبينهما ادوات الشاي . لم تسمع مايقولان، ولكن الرضى الذي يميز جو الغرفه ويرتسم حتى على الصورة اوحى لها بما يتحدثان به وهناك في حجرة الجلوس في بيتها ، المقاعد الوثيرة والوسائد الزاهية المستلقية عليها باطمئنان . القطة تتثاءب وتتمطى تتنقل لتغفو في اركان الغرفة تريد الاستمتاع بحنان كل زاوية .. الجمر المتوهج في المنقلة الراضي بمصيره حتى حين يخبو وهجه . جدتها تطرز قطعة جديدة من جهاز العرس الذي تعده لحفيدتها .

ستترك غدا هذه المدينة . ستعود الى جدتها وبيتها ووطنها ، تطيل النظر الى عيني جدتها ، ترى الاطمئنان فيهما ، كانت الجدة تفرح اذ تنتهي من تطريز قطعة جديدة وتلوم حفيدتها كلما رفضت خاطبا جديدا ، لان الرفض لايشجعها على الانتاج السريع في التطريز وتعيرها بانها من عصر لايهتم الفرد فيه الا بنفسه ولا يريد ان يتحمل مسؤوليات وهي حين كانت في عمر حفيدتها كان لها بيت واولاد مسؤولة عنهم .

ستكتب الى جدتها تشرح لها ما حملته طوال هذه المدة من عبء ومسؤوليات . ستكشف لها لاول مرة عن نفسها .. ستخبرها انها حين كانت تعود من الاجتماعات التي تدرس فيها الاوضاع الاجتماعية وتحاول هي ورفاقها ايجاد حلول للاوضاع السياسية المتأزمة في البلاد وهم يحسون مسؤولية العالم العربي كله على عاتقهم تزعم لجدتها انها كانت في حفلة راقصة تفسر لها بهذا سبب غيابها . اما جدتها فكانت تبدأ كالعادة باللوم والتقريع والتنديد بهذا الجيل الذي لايفهم من الحياة غير الرقص ، ستقول لجدتها انها حين تحملت مسؤولية بيت واولاد اعتزت بهذا ولا تزال تزهو به وهي .. هي وابناء جيلها يتحملون مسؤولية شعوب دون ان يكونوا قادرين على البوح فكيف على التبجح به ؟؟

تتذكر اول وصولها الى هذا البلد حين اخذتها زميلة الى حفلة راقصة وكانت مشتاقة الى التعرف على هذه الاماكن التي طالما كانت فيها وحسبت عليها على غير حقيقة .

وهناك عجبت للناس .. اناس من مختلف الاعمار والمشارب والاذواق يرقصون ساعات ولا يملون . كأن لاشيء في الحياة يستحق الاهتمام غير موازنة حركات الجسم مع الموسيقى . كم غبطتهم ليلتئذ . كم تمنت لو تستطيع ان تحصر افكارها في انسجام حركات عضلاتها ، كم تمنت لو تستطيع الوقوف كما تفعل الفتيات المكدسات حول الحائط في انتظار ان يتقدم اليها طالب رقصة . ان تكون لحظة الانتصار الكبرى عندها حين يختارها واحد من الموجودين ، وليكن مايكون ، مادام رجل يحيطها بذراعيه .. ان لاتحس كبرياءها قد اهينت وهي تسمح لغريب بامساكها ... ان لاتحتقر نفسها وهي تضيع الوقت باللهو وفي الحياة عشرات من المشاكل تحتاج الى حل .. ان تهز كتفين غير محملتين بالهموم وتميل برأسها دون ان تحسه مثقلا بالف مشروع .

لقد ترك الناس الهموم العامة هنا لمن يستطيع حلها واعطوا المشاريع لمحترفيها وكفاهم هموم النفس ينشغلون بها .

لم تسمع ضربات الرذاذ على مظلتها ، ومدت كفها كان المطر قد توقف لاتدري منذ متى ، ولم تشعر بارتياح . كانت تظن ان ذاك الرذاذ المتواصل يرهق اعصابها ، وها قد افرغت السماء غيمها وما يزال الشعور بالانقباض يكبلها ، متى تفرغ الارض غيومها ؟ متى ؟؟

وفي ركن الشارع كانت الفتاة الواقفة لاتزال واقفة وارتاحت هي لفكرة ان تحدث احدا فهي لم تتكلم منذ بدأت عطلة نهاية الاسبوع .تقدمت من الفتاة تسألها ما بها . اجابت الفتاة بانها وقفت لتجعل المارين يهتمون بامرها ويتحدثون اليها فهي ستصل الى غرفتها بعد قليل . انها تسكن

الضوء المخملي

(الى ربيع الصلح .. الثوري الرائع)

لاني أجر ورائي تاريخ طيب
أود لو أشرب نخب حبيبي
نبيذا .. ووعدا يرف على كل هدب
ويزرع في كل درب جديله
يصلي لها المجد .. تسكب فينا الرجوله
وتمسح عن اضلع الفجر اشلاء عتمه
تعشش ، حتى كأن الظلام يوزع زخمه

* *

لان القضيـــه
تعرش فى دمنـــا .. تسكن
لانا نغمغم بالاجمل
لان النضال بنـــا يؤمـــن
نطير ، لنرسم بالمعول
صباح الغد المخملي

* *

لاني احس غدي مترعا بالنجوم
اخاف ، أخاف السحاب
يرش على شفتيه الضباب
يغل خلاياه .. يسرق منه سناه
يرمد فيـــه الحياه
حزين أنا ، ارتمي كالظلال
لاحمل فـــي مقلتي المحال

وأعبد فجري ،اسقيه ضوء عيوني
واغنية من ضلوع السجون ..

* *

وياحلوتي كم يموج على شفتي السؤال
وكم يحتويني السعال
لاني أحب بلادي ، أموت فدى المتعبين
فدى البعث فيها يدمر سود السنين
لاني اعشـــق انجيلي الاجمـــلا
حصيري ، وكسرة خبز ، وشمعه
لان القضيـــــه
تغلغل عبر دمائي
لتمحو شتائي
سأجرع اصنام شعبي بنظره
بكومة حقد ، بزفره ..

* *

لان القضيه
تعرش فى دمنا ، تسكن
لانا نغمغم بالاجمـــل
لان النضال بنا يؤمن
نطير لنرسم بالمعول
صباح الغد المخلمـــي

دمشق : **عدنان كيلاني**

هنا في هذا البيت الذي امامها ولو دخلته لما وجدت عذرا تستثير بـــه اهتمام الاخرين . وختمت حديثها « وعلى كل فانت الشخص الوحيـد الذي سألني عن امري . لا اظنك من اهل هذا البلد فمن اين انت ؟»

ـ انا من بلد هربت من فضول الناس فيه واهتمامهم .

ـ كيف تهربين من اهتمام الناس ؟ لقدكنت قبل قليل افكر فـي ان اتظاهر بالاغماء لكي يهتم بي احد . اين بلادك ؟ حدثيني عنها . هـــل استطيع المجيء اليهـــا ؟

ـ ليتك تأتين وتجلبين معك مئات الفتيات اذن لارتاح جيلنا مـــن المشاكل السياسية وعاش حياته الطبيعية متوترا بها .

ووجدت فى هذه العبارة مفتاحاللحديث الذي طالما اسكتته فانطلقت تفرغ مافي نفسها « هل فكرت يوما في القلق العام؟ هل قلقت لاجـــل الوضع السياسي في بلادك ؟ ان قلقك خاص ونحن لاحق لنا فيه .لاحق لنا في القلق الشخصي . لقد خنقه فضول الناس ومقاييس المجتمـع فافرغناه في القلق العام ونسينا انفسنا . نسينا ما معنى اللهفة والحنين والشوق . هذه امور تعداها جيلنا الى الخوض بالامور السياسية .لقد تحمل جيلنا غير اعبائه حين لم يسمح له بتحمل اعبائه العاطفية الخاصة».

وتصغي الفتاة وهي لاتدري ما معنى هذه المحاضرة المتحمسة ثـــم تسأل :

ـ الم تجدي رجلا يهتم بك ؟... يحبك ؟

ـ انا هاربـــة منه .

ـ لم تهربين ممن يحبونك ؟

ـ هذا هو السؤال الذي لاتوافقني جدتي على جوابه ..

وتوقفت عند هذا الحد لقد تمادت في الحديث مع غريبة عـــن امورها الخاصة ولعل كونها غريبة سمح لها بهذا الاسترسال .

وتركت الفتاة الواقفة واقفة بعد ان اعطتها عنوان بيتها في الوطن ، وقالت لها « لاتنسي ان تزوريني هناك ومعك اكبر عدد ممكن من الفتيات على ان يكن جميلات وغبيات ».

وفي غرفتها كانت المسكينة تعطي كل شيء . من يستطيع ان يصدق ان في هذا البيت تسعة نزلاء وعائلة في الطابق الاعلى؟ لم لايصـــدر احدهم صوتا لتحس ان في البيت احياء ؟

بعض الرسالة لايزال بعد على المائدة . دفعتها بيدها وسحبت ورقة جديدة : ستخط رسالة جديدة ... ستعود .. تعود لترى الاطمئنان في عيني جدتها . « وستنظرين ياجدتي في عيني تنتظرين خبرا . ليس في عيني ياجدتي غير القلق . القلق الذي لاتعرفين والسفر يزيد منه .. لقد رفضته ياجدتي لانه .. لانه لايأرق . انه لايعرف معنى التوتر والهرب.»

لندن **ديزي الامير**